

195018 - لماذا قدر الله ما قدره من الأحداث والفتن في المسجد الحرام عبر الزمان وقد شرفه وحرّمه

؟

## السؤال

قرأت في الإنترنت أن يزيد هدم الكعبة ، فهل هذا صحيح ؟ فإله يقول : إنه يؤمن بيته بنفسه ؛ كما أن السيول قد اجتاحت الكعبة قديماً ، وكذلك الفتنة التي وقعت في الثمانينات من رجل زعم أنه المهدي ! فلماذا أذن الله بوقوع مثل هذا ؟

## الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً :

يجب التحري عند قراءة التاريخ ، وأخذه من مصادره الموثوقة ، وعدم اعتماد ما يتناقله الناس عبر الانترنت وغيره إلا بعد التأكد من صحته ؛ فإن كثيراً من الروايات التاريخية لا تصح ، بل إن كثيراً منها لا أصل له .  
ويزيد بن معاوية لم يهدم الكعبة ، وقد سبق بيان ذلك في جواب السؤال رقم : (197626).

ثانياً :

لا شك أن الله تعالى شرف بيته وعظمه حيث جعله قبلة للناس ، ومن دخله كان آمناً ، قال تعالى : ( وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً  
لِلنَّاسِ وَأَمْناً ) البقرة / 125 .

قال السعدي : " أي: مرجعاً يثوبون إليه ، لحصول منافعهم الدينية والدنيوية ، يترددون إليه ، ولا يقضون منه وطراً ، وجعله  
أمناً يأمن به كل أحد ، حتى الوحش ، وحتى الجمادات كالأشجار.

ولهذا كانوا في الجاهلية - على شركهم - يحترمونهم أشد الاحترام ، ويجد أحدهم قاتل أبيه في الحرم ، فلا يهيجه ، فلما جاء  
الإسلام ، زاده حرمة وتعظيم ، وتشريفاً وتكريماً " انتهى من "تفسير السعدي" (ص 65) .

وما حصل من أحداث في المسجد الحرام مما يخالف حرمة وتشريفه يحمل على أحد أمرين :

أولهما : أن ذلك من إرادة الله الكونية القدرية التي يشاؤها بحكمته وعلمه ، ليبتلي الخلق ويختبرهم فيما شرعه وقضاه بحكمه

.

وقد تقدم في جواب السؤال رقم : (49013) الفرق بين إرادة الله الشرعية الدينية وإرادته الكونية القدرية ، وبيننا أن الإرادة  
الشرعية تتعلق بما يحبه الله ويرضاه ، وأن الإرادة الكونية تتعلق بمشيئته سبحانه وخلقه بمقتضى حكمته وعلمه ، فالله عز

وجل يريد إرادة شرعية تعظيم البيت الحرام وتشريفه وتأمينه وتأمين من يدخله ، ثم إن الله تعالى قد يقدر في الواقع خلاف ذلك ليبتلي الناس ، ويميز الخبيث من الطيب ، ويعلم مَنْ مِنْ خلقه يطيعه ومن منهم يعصيه ، ومن يعظم حرماته ومن يجترئ عليها .

والله عز وجل أمر بتطهير البيت وتعظيمه وتشريفه ، وقد حرمه الله تعالى ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، ومن دخله كان آمنا ، هذا ما شرعه الله وأمر به ، وهذه هي المشيئة الشرعية .

ولكن هذه المشيئة قد تتخلف لحكمة يعلمها الله تعالى ويريدها ، فيقدر الرب سبحانه خلاف ما شرع وأحب ، فيقع ما لا يرضى ، من عدم تعظيم البيت والاستهانة به وبحقه وحرمته ، وعدم تأمين من يفد إليه من الحجاج والمعتمرين والزائرين ، كما حصل أيام القرامطة إذ قتلوا الحجيج ، وطموا بئر زمزم ، وقلعوا الحجر الأسود ، وأخذوه ونكلوا بالناس أشد تنكيل ، وهذه هي المشيئة القدريّة التي يقدرها الله بحكمته وعلمه يبتلى الناس ويختبرهم بها لينظر كيف يعملون .  
قال ابن كثير رحمه الله :

" وروي عن بعضهم أنه قال : كنت في المسجد الحرام يوم التروية في مكان الطواف ، فحمل على رجل كان إلى جانبي فقتله القرمطي ، ثم قال : يا حمير، ورفع صوته بذلك ، أليس قلت في بيتكم هذا : (ومن دخله كان آمنا) آل عمران/ 97 ، فأين الأمن ؟ قال : فقلت له : اسمع جوابك ، قال: نعم . قلت : إنما أراد الله : فأمنؤه .  
قال : ففنى رأس فرسه وانصرف "انتهى من "البداية والنهاية" (11/ 183) .

وقد يقدر الله عز وجل وقوع ما لا يحب ، وخلاف ما يأمر به لحكم كثيرة ، منها : - - حصول مقتضيات أسمائه وصفاته وآثارها .

- تمييز الخبيث من الطيب والمؤمن من الكافر والمطيع من العاصي .
  - اصطفاء الشهداء واجتباء الصالحاء .
  - رفع درجات من أراد الله بهم الحسنى من أهل السعادة .
- ثانيا :

هذه الأحداث التي حصلت لبيت الله الحرام لم تزده إلا حرمة وتشريفا ، ولو أن شيئا كيد بما كيد به البيت الحرام عبر العصور لما بقيت له اليوم من باقية ، ولكنك لا تجد البيت الحرام يزداد مع الأيام إلا شرفا ، ومع الأحداث إلا رفعة وحرمة في أعين المؤمنين وقلوبهم ، فتشتاق أفئدة الملايين من المسلمين في شتى بقاع الأرض إلى زيارته ، والصلاة فيه والطواف حوله .

وهذا وحده كاف لإثبات شرفه وحرمته ، وهو مما يدل على أن الله تعالى أراد بالبيت التعظيم والرفعة والحرمة شرعا وقدرًا ، كما قال تعالى : ( وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ \* وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ) البقرة/ 125 ، 126 .

قال ابن كثير رحمه الله :

" ومضمون ما فسر به هؤلاء الأئمة هذه الآية : أن الله تعالى يذكر شرف البيت وما جعله موصوفاً به شرعاً وقدرًا من كونه مثابة للناس ، أي: جعله محلًا تشتاق إليه الأرواح وتحن إليه ، ولا تقضي منه وطراً ، ولو ترددت إليه كل عام ، استجابة من الله تعالى لدعاء خليله إبراهيم ، عليه السلام، في قوله : ( فَاجْعَلْ أَفْتِدَاءَ مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ) إلى أن قال: ( رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ) إبراهيم / 37 - 40 ، ويصفه تعالى بأنه جعله أمناً ؛ من دخله أمن ، ولو كان قد فعل ما فعل ، ثم دخله : كان آمناً . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : كان الرجل يلقي قاتل أبيه وأخيه فيه فلا يعرض له ، كما وصفها في سورة المائدة بقوله تعالى : ( جَعَلَ اللَّهُ الْكعبةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ ) المائدة / 97 . أي: يُرْفَع عنهم بسبب تعظيمها السوء ، كما قال ابن عباس : لو لم يحج الناس هذا البيت لأطبق الله السماء على الأرض " . انتهى من "تفسير ابن كثير" ( 1 / 413 ) .

وخلاصة الجواب عن هذه المسألة :

أن ما حصل من أحداث للمسجد الحرام لم يزد إلا تشريفاً وتعظيماً ، وما وقع فيه من الشر والفتنة فمن قدر الله الذي شاءه سبحانه بحكمته وعلمه ؛ ليبتلي الناس ويختبرهم ويصطفى الأولياء والشهداء والأتقياء والأخيار من عباده .  
والله تعالى أعلم .